الفصل الثانى

obeikan.com

obeikan.com

(1)

حروب الجيل الرابع

obeikan.com

obeikan.com

حروب الجيل الرابع

مفهوم حروب الجيل الرابع:

حتى نقترب أكثر من مفهوم حروب الجيل الرابع نتطرق إلى تعريف أحد ابرز منظريها حين قال: "سوف يكون واضحاً تلاشى الفرق بين نقطتى الحرب والسلام، وسوف تكون الحدود غير واضحة، وربما إلى حد عدم وجود ساحات القتال أو جبهات، بل إن التمييز بين "المدنى" و "العسكرى" قد يختفى تماماً ما يعنى فى مجمله أننا بصدد حرب غير تقليدية ساحاتها الحقيقية بعيدة عن ميادين القتال التقليدية، بل هى فى العمق المجتمعى بحيث يتمحور الصراع حول الثقافة والقيم والروح المعنوية والاقتصاد والبشر والأخلاق والتماسك الاجتماعى.

وعلى خلاف نسبى مما سبق عرف الكاتب الأمريكى ويليام ليند الأجيال الأربعة من الحروب على النحو الآتى:

- حرب الجيل الأول: هى الحرب التقليدية بين دولتين لجيشين نظاميين وآخرين كالخبير العسكرى، ويعرفها الكاتب الأمريكى ويليام لينـد أنها حروب الحقبة من 1648 ولغاية 1860 حيث عرفت بالحروب التقليدية بين جيوش نظامية وأرض معارك محددة بين جيشين يمثلون دول فى حرب ومواجهة مباشرة.
- حرب الجيل الثاني: يعرفها البعض بحرب العصابات (Guerrilla) والتى تمولها دول كالتى دارت فى دول أمريكا اللاتينية، ويرى لينـد أنها شبيهة بالجيل الأول من الحروب التقليدية، ولكن تم استخدام النيران والدبابات والطائرات كما فعل الجيش الفرنسى فى الحرب العالمية الأولى.

- حرب الجيل الثالث: يعرفها البعض بالحروب الوقائية أو الاستباقية (Preventive War) كالحرب على العراق مثلاً، ويرى وليام أنها تطورت من قبل الألمان فى الحرب العالمية الثانية وسميت حرب المناورات وتميزت بالمرونة والسرعة فى الحركة واستخدم فيها عنصر المفاجأة، والحرب من وراء خطوط العدو.
- حرب الجيل الرابع: اتفق الخبراء العسكريون على أن حرب الجيل الرابع هى حرب أمريكية صرفة، طورت من قبل الجيش الأمريكى وعرفوها بـ الحرب "اللامتماثلة" (Warfare) حيث وجد الجيش الأمريكى نفسه يحارب "لا دولة" بعد اعتداءات 11 سبتمبر 2001، بمعنى آخر هى محاربة تنظيمات منتشرة حول العالم، وهذه التنظيمات محترفة وتملك إمكانيات ممتازة، ولها خلايا خفية تنشط لضرب مصالح الدول الأخرى الحيوية كالمرافق الاقتصادية وخطوط المواصلات لمحاولة إضعافها أمام الرأى العام الداخلى بحجة إرغامها على الانسحاب من التدخل فى مناطق نفوذها ومثال على هذه التنظيمات: القاعدة، حزب الله... الخ.

السمة الأساسية فى الأجيال الثلاثة الأولى من الحروب الحديثة هى أنها ركزت على العنصر البشرى ومحورية القوة النيرانية ثم المقدرة على المناورة وامتلاك مسرح العمليات، ثم الحقيقة التى جمعت هذه الأجيال الثلاثة السابقة وهى السعى بكل الطرق إلى هزيمة العدو عسكرياً، ولكن الجيل الرابع يختلف جذرياً عن ذلك، فالهزيمة لم تعد عسكرية فقط، وهذا الأمر لا ينسحب على المجال القتالى فقط، بل ينسحب على مكانة القوة العسكرية ذاتها ضمن حسابات القوة الشاملة للدول منذ بدايات القرن الحادى والعشرين، فلم تعد القوة العسكرية توازى قوة الاقتصاد ومقدرته على بناء المكانة للدول فى النظام العالمى الجديد، كما لم تعد القوة العسكرية هى المحرك الرئيسى للتوسع بعد أن بات التوسع والسيطرة والنفوذ يتم عبر أدوات أخرى، منها الاقتصاد والثقافة والإعلام والمعلومات غير ذلك من أدوات

تسمى فى مجملها القوة الناعمة للدول، التى بزغت كرأس حربة للنفوذ والقيادة بدلاً من القوة الخشنة أو الصلبة التى ظلت لقرون وعقود تحتل المرتبة الأولى فى السياسية الخارجية للدول والعلاقات الدولية بصفة عامة.

تقوم حروب الجيل الرابع على فكرة أساسية تعتمد على خلط الأوراق لإحداث ما يسمى حالة من الالتباس والفهم لدى الأطراف المستهدفة وهذا النوع من الحروب قديم النشأة ويرجعه العسكريون إلى عام 1648 وأنه أول ما ظهر كان لعسكرى صينى وطورها ماوتس تونج الزعيم الصينى الذى أراد أن يحارب المركزية فى بكين بما تملكه من سلاح وعتاد بتجنيده أفراد الشعب وسكان القرى وتدريبهم على استخدام أفكار ووسائل بدائية وغير تقليدية لتكبيد الجيش المدرب أكبر قدر من الخسائر ونجح فى تحقيق أهدافه ومثلت تلك البداية نقطة الانطلاق نحو الجيل الرابع للحروب، والتقطها الزعيم الفيتنامى هوشى منه وطورها واستخدمها فى حرب غير متكافئة مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن كبدها خسائر جسيمة ووضعها فى موقع الدفاع ويشير المؤرخون العسكريون أن مصطلح الجيل الرابع من الحروب تم تداوله داخل الولايات المتحدة الأمريكية عام 1980 من خلال مقالة عسكرية بعنوان (الوجه المتغير للحرب إلى الجيل الرابع) وكان يشير إلى مفهوم كسر احتكار الجيوش للحروب والعودة إلى ما قبل الحروب الحديثة من حيث نظريات القتال وأوضاع الصراع وترتبط هذه النظرية ارتباطاً وثيقاً بالفكر السياسى الذى قادته الولايات المتحدة الأمريكية نحو فكرة العولمة والقطب الأوحد لتفكيك دول الاتحاد السوفيتى ونشر فكرة الغزو الثقافى الأمريكى الذى يحمل شعارات رنانة كالحرية والديمقراطية وغيرها من المفاهيم التى تطلع إليها الشعوب المضغوطة والمكبوتة سياسياً واقتصادياً وتعانى مشكلات البطالة والفقر وعلى الجانب الآخر ظهر ما يسمى بالإرهاب

والتقطت الولايات المتحدة الأمريكية تلك المعطيات وصاغتها من خلال نظرية وزيرة خارجيتها كونداليزارايس وهى نظرية الفوضى الخلاقة.

وفى عام 2006 أصدر الخبير العسكرى الأمريكى توماس هامز كتابه (الجبال والصخرة) والذى تحدث عن حرب الجيل الرابع وكيفية توظيفها من خلال استثمار حركات التمرد والاحتجاجات الشعبية وقدرتها على مجابهة الدولة بكل قوتها وضرب مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية واستخدام الدعاية الموجهة عبر صناعة الإعلام للتشكيك فى قدرة رموز الدولة وصانعى القرار لإرباكهم وهزيمة إرادتهم السياسية وتفويض أدوات قوة الدولة (الشرطة- القوات العسكرية).

وبالفعل كان على الأرض هناك تجربة تمثلت فى تأسيس حركة (أوبتور) الصربية لتمثل طرفاً فى مواجهة مع يوغوسلافيا واستخدمت اللاعنف كأسلوب ومنهج حرب ونشرت مجلة نيويورك تايمز أنه تم تمويل حركة أوبتور الصربية بحوالى خمسة ملايين دولار من خلال مؤسسات أمريكية مانحة وحددتها هى المعهد الوطنى الديمقراطى والمعهد الجمهورى الدولى والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

ويرى الخبراء أن قوة هذه الحروب أنها لا تقع تحت طائلة القانون وتستطيع أن تستخدمه عندما يصب فى مصالحها فيمكن توظيف القانون للتشهير بالأعداء ولفت انتباه الرأى العام العالمى إلى خروقاتهم القانونية لنزع غطاء الشرعية المحلية والدولية عن الأنظمة الحاكمة.

ويرى البروفيسور الأمريكى ماكس مايورا ينج أن حروب الجيل الرابع تستهدف الوصول بالدولة إلى حالة من الفشل الذى يؤدى إلى الفوضى وفى حالة إفشال الدولة يتم التدخل من خلال وسائل الاتصال الحديث إلى تنفيذ عمليات ممنهجة ومخططة مسبقاً

لإعادة ترتيب وتنظيم الأوضاع وتوزيع القدرات طبقاً للإدارة الأمريكية داخل حدود الدولة المستهدفة فيما عرف اصطلاحاً بمفهوم الدولة.

ويقوم هذا النوع من الحروب على تكتيكين رئيسيين:

الأول: يعتمد على الدقة والتخطيط فى توزيع الأدوار فهناك من يدعو إلى العنف ولا يتحمل مسئوليته، وهناك من ينفذ العنف، وهناك من يبرر العنف، وآخر يدعى الحياد ويمارس المراوغة إلى حين ثم يمارس الانحياز الذى يمثله ويتم حشد النخب الفكرية والحقوقية واستخدام المنظمات الإنسانية والحسابات الإلكترونية على أن تمثل تلك المجموعة العقلانية والإتزان إلى جانب بث الشعارات والمثاليات ومناقشة القضايا الفرعية والهامشية على حساب الحقيقة على أن يتحرك الجميع بتوقيتات محددة وصولاً إلى تحقيق أكبر قدر من المكاسب لتلك المجموعات فى مواجهة نظام الحكم القائم لتفريق الإجماع الوطنى وخلق بؤر شعبية متناحرة.

الثانى: هو التدخل لتوظيف الفوضى وتوجيه مجريات الأحداث داخل الدولة المستهدفة وتأجيج الصراع بين الفرقاء داخل المجتمع والتشكيك بأجهزة الدولة ودفعها نحو الفشل وتفكيك الدولة لتحقيق الهزيمة النفسية لكل مفردات المجتمع وأدوات الدولة.

وهناك أيضاً تكتيكات مستخدمة فى حروب الجيل الرابع تستخدمها الولايات المتحدة من خلال ثلاثة محاور تعمل على توظيفها لمهاجمة الخصوم عبر توظيف عناصر:

1) الإرهاب، 2) الدعاية، 3) الثقافة.

تواكبها دراسة وثيقة لأهداف ودفاعات الخصم وفى هذا يكشف "ماكس مايواينج" فى ندوة بمعهد دراسات الأمن القومى الإسرائيلى أن الرئيس الفنزويلى شافيز كان أول من أمر ضباطه أن يتعلموا "الجيل الرابع من الحروب غير المتماثلة" وأن يطوروا عقيدتهم العسكرية للتعامل معها بحيث لا يكون الدفاع أو الهجوم عبر قوات نظامية كما كان فى

الماضى وأن الهدف من هذه الحروب ليس الهجوم على قوات نظام أو الدخول فى مواجهة عسكرية أو القضاء على أمة بشكل عاجل وإنما تكمن إستراتيجيتها فى إنهاك الدولة المستهدفة وتآكلها ببطء وبشكل مستمر ومتواصل ليرغم العدو على تنفيذ إرادتك، إذن الغاية من هذه الحرب هى التحكم فى العدد والقاسم المشترك فى ذلك كله هو زعزعة الاستقرار واستخدام كافة العناصر من الرجال والشباب والنساء والأطفال.

وهنا يمكن النظر فيما شاهدناه من اختطاف ثورة 25 يناير واستخدام أطفال الشوارع فى مواجهة قوات الجيش والشرطة ودفعهم لإحراق البنى التحتية وإشاعة الفوضى والذعر فى شوارع العاصمة من خلال أعمال البلطجة وبثها من خلال وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعى لزعزعة الاستقرار إلى جانب هذا كله لا مانع من إضفاء قدر من التمويه والدهاء ودفع عملاء فى صورة مساندين لتلك الفرق التى تعانى فقراً مادياً وعلمياً وثقافياً وبذلك يتم الحصول على النتيجة المحتومة لإفشال الدولة ودعم المجموعات المتناحرة لإيجاد مساحات داخل الدولة غير مسيطر عليها وبذلك يتآكل مفهوم السيادة ويتم التدخل لاختطاف الدولة ويؤكد "ماكس" فى محاضراته ذلك بقولة (وإذا فعلت هذا بطريقة جيدة ولمدة كافية وببطء مدروس فسيستيقظ عدوك ميتاً).

والفكرة ليست جديدة فقد تحدث عنها المفكر الإستراتيجى الصينى "سوفادو" معتبراً أنه من غير المجدى الدخول فى قتال ضد قوة عسكرية أقوى بالأسلحة المناظرة نفسها وأنه يجب أن تعتمد أسلوباً مختلفاً يستهدف وحدة المجتمع الذى أنتج القوة العسكرية وبذلك ينهار التماسك الاجتماعى وسرعان ما تتفكك القوة العسكرية فغاية الحرب غير المتناظرة تمزيق البنيات الاجتماعية وتدميرها ولكن الفكرة عند الخبير العسكرى الأمريكى هو أن دولاً كبيرة تملك قوة عسكرية متفوقة ومع ذلك لا تلجأ إلى شن الحروب التقليدية وتفضل استخدام حروب الجيل الرابع غير المتماثلة لأن السلاح الرئيسى فيها ليس قوة النيران وإنما

يعتمد بشكل أساسى على القدرات العقلية والدهاء فحائط برلين لم تسقطه الدبابات ولكن المارك الألمانى هو الذى أسقطه حسب قول ماكس.

مخاطر حروب الجيل الرابع:

لاشك أن الأفكار التى ينتجها العقل البشرى تمثل محوراً أساسياً فى فلسفة ومفهوم حروب الجيل الرابع وهى التى تحدد معايير الهزيمة والنصر فيها فالثقافة هى الهدف والفكرة ومحور التخطيط لهذه الحروب لأنها تمثل هجوماً على ثقافة العدو وتدميرها وإعادة تشكيلها وتوجيهها وتدمير منظومة القيم والعادات والتقاليد لتنهار الروح المعنوية والقيم النفسية التى تدعم المجتمع وتجعله كتلة واحدة وبالتالى يمكن اختراقه ودفعه للانهيار على كافة المستويات الاقتصادية والثقافية وصولاً لنقطة انهيار معنوياته واقعياً أو افتراضياً وهذا ما أكد عليه أو يقصده الرئيس عبد الفتاح السيسى حين دعا الشعب المصرى أن يكون بكل أطيافه كتلة واحدة حتى لا تتحكم قوى مغرضة فى توجيه الشعب نحو الهاوية.

وهنا يجب التنبيه إلى حقيقة غاية فى الأهمية فليس من السهل إدراك الجميع داخل المجتمع طبيعة حروب الجيل الرابع لاختلاف الثقافات والخلفيات لأنها حروب ليس لها بدايات واضحة أو معلنة وبالتالى فإن مراحلها معقدة متشابكة وبحكم هذا التعقيد فإنها ليست ذات طبيعة زمنية محددة فهى ممتدة ومستمرة ويصعب تتبع قوتها واندفاعها واتجاهها داخل بيئة الصراع فهى تعتمد على الأفكار وقدرتها على حسم الأمور لصالح طرف آخر كما أنها تعتمد على مؤثرات نفسية ومعنوية باستخدام وسائل اتصالية وإعلامية فهى المؤثر الرئيسى للتحكم فى مسارات الصراع فى حروب الجيل الرابع فجميع الاشتباكات فى هذه الحروب تعتمد بشكل أساسى على توجيه التفاعلات الآنية وتوجيهها ضد مصالح الخصم فمع التقدم العلمى والتكنولوجى برزت أنماطاً جديدة من التفاعلات التى تم استخدامها فى التحكم للتحركات الداخلية ضد الدول كبديل عن الاعتصامات وغيرها ولكن تم

استنساخ هذه الأنماط كالاعتصامات والعصيان لتعمل من خلال رؤوس تعمل على توظيف الاجتهادات الفردية لعناصر تم تدريبها فى مؤسسات ومنظمات ترعاها دولاً كبرى منتشرة فى دول العالم لتوجيه هؤلاء الأفراد والجماعات والقيادات ودفعهم لإحداث التغيير الداخلى فى أى دولة مستهدفة وربما تكمن خطورة الممارسات الفردية فى أنها قد تلتئم وتصطف فى وقت ما ضمن منظومات عمل جماعية بعد حصولها على التدريب والسلاح والمال فتشكل بؤراً إرهابية تهدد أمن الدول والمجتمعات وربما تهدد أيضاً الدول التى قامت بتدريبها وتمويلها.

والنموذج التطبيقى لها القاعدة- أنصار بيت المقدس وداعش وغيرها فهذه التنظيمات تم تمويلها وتدريبها ودفعها لاستخدامها فى خدمة أجندة التوجهات الأمريكية وتلبية رغبات سياساتها!!

بصمة القدم الخفيفة

ولا يخفى على المراقبين السياسيين رغبة الولايات المتحدة الهيمنة على العالم لذا كانت هذه القضية محط أنظار ومتابعة من المهتمين بالتفاعلات السياسية فى مناطق النفوذ التى أصبحت بؤر صراع للقوى العالمية وفى القلب منها منطقة الشرق الأوسط ولكن الولايات المتحدة انتهجت أسلوباً جديداً يخيم عليه الضباب أطلق عليه "بصمة القدم الخفيفة" وهى تتضمن سلسلة من الوسائل العسكرية والسياسية والاقتصادية وتقوم هذه الإستراتيجية على مفهوم "عمليات الظل" وتعنى أن تكون أقل تكلفة فى الموارد البشرية والمادية إلا أنها تكون مؤثرة وبالغة الضرر على الهدف كما أنها تمثل الخطة (ب) بعد فشل الخطة (أ) التى تتبنى إستراتيجية "الحرب الشاملة ضد الإرهاب" والتى تبناها جورج بوش الابن والتى فشلت فى حجب الإخفاقات الأمريكية فى العراق وأفغانستان إلى جانب ما أظهرته من

الانحطاط الأخلاقي للولايات المتحدة وقد كشفت ذلك العشر سنوات التي شهدتها فترة هذه الحروب والتي اتسمت بالأكاذيب الأمريكية والتعذيب في السجون والحبس التعسفي في (جوانتانامو) والسجون السرية وعمليات التعذيب غير الإنسانية والتي تم الكشف عنها مؤخراً.

إذن القوات التقليدية أصبحت عاجزة عن القيام بالمهمة الجديدة وفي هذا السياق تقول (كارولين جاليسترو) أستاذة العلوم السياسية أن "بصمة القدم الخفيفة" تقوم على القيادة من خلف الستار وتكليف بعض المعاونين بالمهمات المطلوبة على أن يتم إدارتها من خلف الستار وتمويلها بالمال والسلاح واختارت وكالة المخابرات الأمريكية دولاً قبلت باقتراف الأعمال القذرة بالنيابة عنها وقد تجلت هذه الإستراتيجية في العملية العسكرية التي نفذها حلف الناتو في ليبيا كما اتضحت في الأزمة الأوكرانية وتزعم الاتحاد الأوروبي المعركة ضد روسيا لإضعافها وضرب قدرتها على تشكيل قوة جديدة على الساحة الدولية بالتعاون مع الصين.

ويقول الخبراء العسكريون أن "إستراتيجية بصمة القدم الخفيفة" تقوم على استحداث مفهوم جديد في الإستراتيجية العسكرية الأمريكية ويتم خلالها الاستعانة بقوات خاصة عالية اللياقة والتدريب إلى جانب استخدام الطائرات بدون طيار للحصول على المعلومات وضرب الأهداف إلى جانب الاستخدام الواسع للحرب الإلكترونية ويدللون على ذلك بالهجمة المعلوماتية التي شنتها الولايات المتحدة على البرنامج النووي الإيراني والقوات الخاصة التي قامت بإنجاز عمليات سرية في العراق وضرب تنظيم القاعدة في أفغانستان والعمليات التي تم تنفيذها في الصومال واليمن كما أن الولايات المتحدة تستخدم قواعدها العسكرية المنتشرة حول العالم في تحديد المهام فنرى أن (أفريكوم) القيادة الإقليمية الأمريكية الجديدة وتضم 5000 جندي

والتى تأسست عام 2008 وهى مكلفة بمحاربة الإرهاب فى القرن الأفريقى والساحل فهى تستخدم كرأس حربة لخدمة المصالح الاقتصادية الأمريكية فى المنطقة خاصة فى مواجهة وجود الصين القوى تجارياً وصناعياً.

***

obeikan.com